
* * *
السَّيِّدَةُ زَيْنَب
رَضِىَ اللّٰهُ عَنها
نجلاء شوقي حسن

نساء فى الإسلام

السَّيِّدةُ زَينَب

صاحبة السّيرَةِ العَطِرة

بقلم

نجلاء شوقى حسن

الناشـر

مكتبة مصر

٣ شارع كامل صدقى ـ الفجالة

ت : ٥٩٠٨٩٢٠

(٣)

السَّيّدةُ زَينَب

صاحبةُ السّيرَةِ العَطِرة

هى زَهرَةٌ من بَيتٍ كلُّه رَياحينُ وزُهورٌ عطَّرتِ الدُّنيا كُلَّها . إنَّها السَّيّدَةُ زَينَبُ بنتُ الإمامِ عَلىِّ ابنِ أبى طالِب ــ كرَّمَ اللّه وَجهَه ــ الفِدائىِّ البَطل ، وابنِ عمِّ رَسولِ اللّه ــ صلّى اللّه عليه وسلّم ــ كما أنّها ابنَةُ السَّيِّدةِ فاطِمةَ الزَّهراء ، بنتِ رَسولِ اللّه ــ صلّى اللّه عليه وسلّم ــ سيِّدَةِ نِساءِ أهلِ الجَنّة ، وأشبَهِ النّاسِ بأبيها المُصطَفى ــ صلّى اللّه عليه وسلّم ــ كما أنَّها شَقيقَةُ

(٤)

الحَسنِ والحُسَين ـ رَضِىَ اللّه عَنهُما ـ .

*   *   *

وُلدتْ ـ رَضِىَ اللّه عَنها ـ فى السَّنةِ الخامِسَةِ للهِجرَةِ النَّبوِيَّةِ المشـرَّفَة ، بعـدَ ميـلادِ أخيهـا الحُسَينِ بعامَين ، وشـهِدتْ مـن حَيـاةِ جَدِّهـا المصطَفَى ـ صلَّى اللّه عليه وسلَّم ـ فى صِباهـا ، خمسَ سَنواتٍ كانَ الرَّسـول ـ صلَّـى اللّـه عليـه وسلَّم ـ خِلالَها يَشمَلُها برِعايَتِهِ وحُبِّهِ وحَنانِـه ، حتّى تَشبَّعتْ منذُ نُعومَةِ أظْفارِها بأخْلاقِ النُّبوَّة ، ونـورِ الحِكمَـة ، ومَكـارِمِ الأخْـلاقِ وفَضائِلِهـا .

وقد شاءَتْ إرادَةُ اللّهِ أن تَنشَأَ زَينَـب ـ رضِـىَ اللّه عَنها ـ فِى بَيـتٍ يتحَلّـى بـالأخلاقِ الحَميـدَة والتّضحيَةِ والفِداءِ والبُطولَة ، فوَرِثَت عـن أبيهـا

علىٍّ بنِ أبى طالِب ، الفَصاحَةَ والبَيان ، حتَّى إنّها عندَما كانت تَتكلّم ، يشعر سامعُها أنَّ أميرَ المؤمنينَ عليًّا هو الّذى يتكلّم . وكذلكَ أخذتْ عن أُمِّها فاطِمةَ الزَّهراءِ العَفافَ والتُّقَى ، والطَّهارَةَ والهُدَى ، ومَكارِمَ الأَخلاق .

* * *

ولم يكنْ ما تَعرَّضتْ له السَّيِّدةُ زَينب ـ رضِىَ اللّه عنها ـ من أحْداثِ الدَّهرِ بالأَمرِ الهَيِّن .. فقد فقدَتْ جَدَّها العَظيم ـ صلَواتُ اللّهِ عَليه ـ وهى بنتُ خَمسِ سَنَوات ، وفقدتْ أُمَّها الزَّهراءَ بعدَه بشُهورٍ قَليلَة ، لا تُجاوز السِّتَّةَ أشْهُر .

فأُلقِيَ على كاهِلِها وهى صَبيَّةٌ صَغيرَة ، عِبءُ إدارةِ بَيتِ أبيها ، ورِعايَةِ شُئونِ إخوَتِها .

وكانتْ على عِلمٍ وفِقهٍ في الدّين ، ورِثَتهُ عن أبيها .

فلما كَبِرتْ كانتْ تَعقِدُ مَجلِسًا لِلفِقهِ في بَيتِها ، يتردَّدُ عليه نِسوَةُ المَدينَة .. فكنَّ يَتعلّمنَ أمورَ دينِهنَّ في مجلِسِ عَقيلةِ آلِ بيتِ رَسولِ اللّه .. حتّى إنَّ المؤرِّخينَ يَصفونَها بأنّها كانتْ داعِيَةً من الطِّرازِ الأوَّل .

وكانتْ زَينبُ ـ رضِيَ اللّه عنها ـ مَشغوفَةً بمُجالَسةِ العُلَماء ، وبحُضورِ حَلقاتِ العِلم .. تتعلَّمُ وتُعلِّم .

* * *

وكانتْ قد تَزوَّجت من ابنِ عَمِّها عبدِ اللّه بنِ

جَعفرِ بن أبى طالب ، حيث كـانَ مَضـرِبَ المَثَـلِ فى الجودِ والحِلمِ والكَرم .. وكـانتْ فـى حَياتِهـا الزَّوجيَّة ، سـعيدَةً هانِئـة ، وفَّرت لزَوجِهـا كـلَّ سُبُلِ الرّاحة ، وأَنجَبتْ له عَليًّـا ، وعَونـا ويُدعـى بالأكْبَر ، وعبّاسا ، ومحمَّدًا ، وأمَّ كُلثوم .

* * *

وقد وصفَ الـرُّواةُ زَينـب ، بأنّهـا كـانتْ مـن أجمَلِ نِساءِ الأرض ، وأنَّ لها من أدَبِهـا وأَخلاقِهـا لِسانَ صدقٍ يرفَعُها إلى قِمَّةِ المَجد .

ومرَّتِ الأيّام ، وقُتِلَ الخَليفَةُ الثّالثُ عُثمانُ بـنُ عفّـان ، وبـايعَ المُسـلِمونَ الإمـامَ علـىَّ بـنَ أبـى طـالِبٍ خَليفَـةً لهـم .. وانتقـلَ مقـرُّ الخِلافَـةِ مـن المدينَةِ إلى الكوفَةِ بالعِراق .. ولم يَشأ الإمامُ علـىٌّ

أن يَترُكَ أحدًا من أُسرَتِهِ بالمدينَة .. بـل صَحِبَهـم جَميعًا مَعه ، إلى حيثُ يُديرُ شئونَ المسـلِمينَ فـى مقرِّ خِلافَتِهِ بالعِراق ..

* * *

وعاشتْ السَّيِّدَةُ زينَبُ فـى كَنَـفِ والِدِهـا مـع زَوجِها وأولادِها .. حتَّى شبَّ الخِلافُ بينَ الإمامِ علِيٍّ ومُعاوِيَةَ بنِ أبى سُفيان .. وشَهِدتْ تَفاصيلَ ما حدث وتَجرَّعتْ مَرارَتَـه .. ونُكِبـتْ بأحداثِـهِ الجِسامِ الَّتى بـدأتْ بمَقتَلِ والِدِهـا علـى يَـدِ ابـنِ مُلجَم ، عام ٤٠ هجرية .. حيث استُشهِد أبوها الإمـامُ علـىٌّ بـن أبـى طـالِب ، وهـو خَليفَـةُ المسلِمين ، إثرَ طعنَةٍ قاتِلَةٍ من مـارِقِ خـارجِ علـى

الدّين .

ثمَّ توالَتْ عليها الأحداثُ بعدَ وفاةِ أخيها الإمامِ الحَسنِ مَسموماً على يدِ زَوجَتِهِ الخائِنةِ المَخدوعَة ..

ثم مُنيتْ بعدَ ذلك فى العاشِرِ من المُحَرَّمِ سنةَ ٦١ هجرية ، الموافقِ ١٠ أكتوبر عام ٦٨٠ ميلادية ، باسْتِشهادِ الإمامِ الحُسَين ، ومَعه الرِّجالِ الصَّناديدِ من أهلِها وذوى قُرباها ـ ومنهم وَلَداها ـ أمامَ عَينَيْها عَطشَى لا يَجدونَ الماء ، بعدَ أن خذلَهم أهلُ الكوفَةِ بالعِراقِ وتفرَّقوا عنهم .

* * *

ومن فَصاحَتِها أنَّها مرَّت على أَخيها الحُسينِ وهو مَقتولٌ فى كَربَلاءَ على أيدى أَعدائِه ، فانْتابَها الحُزنُ والجَزعُ والألم ، وقالت مُخاطِبةً أهلَ الكوفَةِ الَّذينَ خَدعوا الحُسينَ وغَرَّروا به : يا أهلَ الكوفةِ .. أتبكون ؟ فلا سَكَنَتِ العَبرة ، ولا هَدأتِ الرَّنَّة . إنَّما مَثَلُكم مَثَلُ التى نَقَضتْ غَزلَها من بعدِ قُوَّةٍ أنكاثًا .. تَتَّخذونَ أيمانكم دَخَلاً بينَكم ، ألا ساءَ ما تَزِرون .

أَتَعجبونَ لو أمطرتِ السَّماءُ دما ؟ ألا ساءَ ما سوَّلت لكم أنفُسُكم .. إنَّ سَخَطَ اللَّهِ عَليكم ، وفى العَذاب أنتُم خالِدون .

* * *

بهذِهِ البَلاغَةِ وجَّهت السَّيِّدةُ زَينبُ بنتُ الإمامِ عليّ ، اللَّومَ والتَّوبيخَ إلى أهلِ الكوفَةِ بالعِراق ، الَّذين تخَلَّوا عن نُصرةِ سيِّدِ الشُّهداءِ الحُسينِ بنِ علِيّ ، وأسْلموهُ لأعْدائِه وتفَرَّقوا عنه . وما تبِعَ ذلك من مِحَنٍ حاقتْ بِها من هُجومِ أعداءِ أَهلِها على رَحلِها ، وسَلبِهِم مَتاعَها ، وإهانَتِهم لها ونِساءِ أسْرَتِها وصِبيانِهم ، وسَوقِهِم جَميعًا أسْرَى وسَبايا من بَلدٍ إلى بَلد ، بغَير وازِعٍ من ضَميرٍ ، أو نَظرٍ إلى نَسبِهِم الشَّريف .

* * *

وقد عُرِفتْ سيِّدَتُنا « السَّيِّدةُ زَينَب » ـ رَضِيَ اللَّه عَنها ـ ولُقِّبتْ ببَطلةِ كَربَلاء ، على

ما أظْهرَتْه من بُطولةٍ تَفوق بطولَةَ الرِّجال ، وبما أظْهرَتْه من شَجاعَةٍ نادِرَة ، اعتَرفَ بها طَرَفا القِتالِ من الأعْداءِ والأنصارِ على السَّواء ، فقد كانتْ تَسهرُ على حِراسَةِ العَتاد ، وتُمرِّضُ المرضَى وتُسعِفُ الجَرحى .. وتُضمِّدُ جِراحَهم ، وتَسقى العَطشى ، وتَستثيرُ المجاهِدين ، وتُشجِّعُهم غيرَ مُبالِيَةٍ بما يَلحَقُها من آلامِ الجوعِ والعَطش ، وتوقُّعِ السّوءِ والإيذاءِ من الأعداء .

* * *

وبعد مَوقعَةِ كَربَلاء ، وما حدثَ لأهلِ البَيتِ على يد قائدِ جَيشِ النِّفاقِ بالعِراقِ عمرَ بنِ سَعد ، والقَضاءِ على أهلِها وأعوانِهم ، وإحراقِ

بُيوتِهـم ، قـرَّرتِ السَّـيِّدةُ زَيـنَـب ــ رَضِـىَ اللَّـه عنهـا ــ الخُـروجَ مـن العِـراق . ولم تَجـدْ أمامَهـا إلاّ كِنانَةَ اللّهِ فى أرضِه « مِصر » .

* * *

وصلتْ أخبارُ ركبِ أحفادِ رَسولِ اللّه إلى أهلِ مِصر .. فخرجَ إليْها مَسلَمةُ بنُ مَخلَدٍ الأنْصارِىُّ فى مَوكِبٍ حـافِلٍ مـن عُلمـاءِ مِصـرَ وأشْـرافِها ، لاستْقبالِ أبطـالِ كَربَـلاء .. حتّـى إذْ مـا وصـلَ الرّكبُ إلى مَشارِفِ القاهِرَةِ فى أوَّلِ شَعبانَ عـام ٦١ هجرية ، وظهرَ نور مَوكِـبِ أحفـادِ رَسـولِ اللّـه ، خـرجَ أهلُهـا عـن بَكـرَةِ أبيهـم ، ليَنـالوا شرفَ استِقبالِهم واستِضافَتِهم ..

* * *

اِحتَفَى أهلُ الكِنانَةِ وواليها بآلِ البَيتِ احْتِفـالاً يَليقُ بهم .. وأقسَـمَ الـوالى أن يجْعَـلَ مـن قَصـرِه مقرًّا لإقامَتِهم .. وفى ضِيافَةِ مَسلمةَ بنِ مَخلَـد ، عاشَتِ السَّيدَةُ زَينَب ـ رضىَ اللّه عنها ـ عامًـا وشُهورًا تتمتّعُ باحْتِرام واليها ..

ومرَّت الأيّام ، ولم يُمهِلِ القدَرُ حَفيـدَةَ رَسـولِ اللّه طَويـلا ، فقـد أصابَهـا مـرضٌ لازمَـتْ بعـدَه الفِراشَ أسابيع ، حتّى وافَتْها المَنِيَّةُ مسـاءَ الأحَـدِ ١٤ من رجَب سنة ٦٢ هجرية .. وكما أحسـنَ أهلُ مِصرَ استِقْبالَها ، أحْسَـنوا وَداعَهـا .. ووارَوا جَسدَها الطاهِرَ الشَّريفَ فوقَ أرضِ الكِنانَة .. فـى

المكانِ الّذى بُنىَ فيه ضَريحُها ولا يزالُ حتّى الآن .

——*

وفى مُنتصَفِ شهرِ رجَبٍ من كلِّ عام ، يُحيى أهلُ مِصرَ ذِكرى مَولدِ رَيحانَةِ بَيتِ النُّبوَّة ، وحفيدَةِ رَسولِ اللّه ـ صلّى اللّه عليه وسلّم ـ السَّيِّدةِ زَينَب ـ رَضِىَ اللّه عنها ـ .

وعن فضلِ أهلِ البَيت ، يقولُ ابنُ عَربِىّ : ولقد أوْصانا رَسولُ اللّه ـ صلّى اللّه عليه وسلّم ـ بحبِّ عِترَتِهِ وأهلِ بَيتِه .. ورُويتْ فى ذلك الأحاديثُ النّبويَّةُ العَديدة .

فعن أُبَىِّ بنِ كعْبٍ أنّه قال : قالَ رَسولُ اللّه ـ صلّى اللّه عليه وسلّم ـ : « أدِّبوا أولادَكم

على ثلاثِ خِصال : حـبِّ نَبيِّكـم ، وحـبِّ أهـلِ بَيتِه ، وقِراءَةِ القُرآن ، فإنَّ حَملَةَ القُرآنِ فى ظِلِّ اللَّهِ يومَ لا ظِلَّ إلاّ ظِلُّه ، مع أنْبِيائهِ وأصْفِيائه » .

نساء في الإسلام

(١) السيدة صفية رضى اللّه عنها

(٢) أم هانئ رضى اللّه عنها

(٣) أم ورقة رضى اللّه عنها

(٤) أسماء بنت يزيد رضى اللّه عنها

(٥) نسيبة بنت كعب رضى اللّه عنها

(٦) أم الدرداء رضى اللّه عنها

(٧) السيدة نفيسة رضى اللّـ

(٨) السيدة زينب رضى الـ

(٩) فاطمة بنت الخطاب رضى ال

(١٠) فاطمة الزهراء رضى ا

دار مصر للطباعة
سعيد جوده السحار وشركاه

الثمن ٥٠ قرشا